وجدان الجازي :امرأة تطمح نحو النجوم

هذه ليست مجرد قصة نجاح لفنانة أردنية؛ بل هي قصة امرأة ذات شجاعة وعزيمة استثنائية .امرأة اختارت طريقاً لم يجرؤ أحد على سلكه من قبل .لقد مدّت يدها نحو النجوم بشجاعة، رافضة قبول الرفض .وبموارد محدودة وإيمان لا يتزعزع، حولت المستحيل إلى واقع.

أوقات اليأس

التقيت لأول مرة بوجدان الجازي في مكتب URI MENA في عمان .كانت هناك لحضور ورشة عمل بمناسبة نهاية برنامج تدريب المدربين للنساء من دوائر التعاون في جميع أنحاء الأردن .في ذلك اليوم، لم تكن وجدان في حالة جيدة، ولم نتحدث كثيراً .خلال استراحة الغداء، عرضت عليّ بعض أعمالها الفنية على إنستغرام .في ذلك الوقت، لم أكن أعرف الكثير عنها . تقاطعت طرقنا مرة أخرى عندما جاءت لأخذ لوحة من مكتب URI MENA لتسليمها إلى السفير الهولندي .فوجئت وكنت فضولية .وبعد وقت قصير، تواصلت معها لترتيب مقابلة.

وجدان هي امرأة بدوية تبلغ من العمر 39 عامًا، تعيش في الحسينية، وهي قرية بالقرب من معان في جنوب الأردن .هذه المنطقة مرتبطة ارتباطًا عميقًا بالثقافة البدوية، والمعروفة بتقاليدها الغنية في السرد القصصي، والضيافة، والحرفية .بينما تظل هذه التقاليد مصدر فخر، يواجه الاقتصاد المحلي في معان وما حولها تحديات، مع ارتفاع معدلات البطالة، خصوصًا بين النساء، مما يؤدي إلى فرص محدودة للنمو الشخصي والمهني.

أحبّت وجدان الرسم منذ طفولتها؛ كان نشاطًا يسمح لها بالاسترخاء الكامل .رغم دعم أسرتها لها، كان أصدقاؤها ومجتمعها أقل تشجيعًا .كانوا يشككون في قدرتها على أن تكون فنانة .في ثقافتها، نادرًا ما تتابع النساء الفن كمهنة، ولم تكن هناك دروس فنون بالقرب منها - لذلك قامت وجدان بتعليم نفسها الرسم واحتفظت بجميع أعمالها الفنية لنفسها.

بعد المدرسة، لم تواصل تطوير مهاراتها الفنية، بل درست التعليم المبكر للأطفال في جامعة معان - وكانت الدورة الوحيدة التي لا يوجد فيها طلاب ذكور .ومع ذلك، لم تستمتع بالعمل وصَعب عليها العثور على وظيفة بعد التخرج .متزوجة من زوجها حسين منذ 16 عامًا، ولا يوجد لديها أطفال .قبل خمس سنوات، عندما توفيت والدة حسين، دخل في حالة من الحزن العميق، وشعر بالعزلة .في ذلك الوقت، كانت العائلات متباعدة، وفي النهاية قررت أسرة وجدان إعادتها إلى منزلها.

غمرها هذا الفراق في فترة من اليأس .لشهر كامل، بالكاد استطاعت النهوض من سريرها ولم ترغب في التحدث مع أي شخص .كانت مفجوعة .حاولت أسرتها أن ترفع من معنوياتها، لكن لا شيء نفع.

ثم، في أحد الأيام، شاهدت فيديو للمدرب التحفيزي عمار شهاب من عمان .تحدث عن كيف يمكن أن يصبح الشخص أفضل نسخة من نفسه، ويقوم بما يحب، ولا يستسلم أبدًا، ويقف من جديد مهما سقط .حدث شيء في نفسها أثناء استماعها لكلماته؛ كانت كلماتها تتردد في أعماقها .نهضت من سريرها، وعندما رأت أخاها على وشك الذهاب إلى السوق، قالت له" :سأذهب معك"!

تغير وجه أخيها من المفاجأة" .حقًا؟ تريدين الذهاب معي؟ "لم تخرج منذ أسابيع، لكن في ذلك اليوم، اختارت أن تخطو خطوة إلى الأمام.

الخطوات الأولى وأول الداعمين

بالمبلغ القليل الذي كانت تملكه، اشترت وجدان بعض مستلزمات الفن وبدأت الرسم مرة أخرى .كانت أول قطعة لها تصور حصانًا بعينين مليئتين بالقوة .لوحتها الثانية، وهي مشهد بدوي، شاركتها مع دائرة صغيرة من جهات الاتصال على واتساب . اقترحت إحدى صديقاتها، التي تفاجأت بموهبتها، أن ترسم زهورًا على أقراص خشبية وتبيعها في البتراء، أحد المعالم السياحية الرئيسية في الأردن .رغم أنها فكرت في ذلك، قررت أن تركز بدلاً من ذلك على مشاهد من الثقافة البدوية والمحلية.

كانت مستلزمات الفن مكلفة وكان هناك محل واحد فقط في معان، لكن صاحب المحل ساعدها في البداية .في النهاية، انضمت وجدان إلى درس فن قريب، حيث دهش المعلم من موهبتها .شاركت أول لوحة لها، صورة الحصان، وكان مندهشًا عندما علم أنها رسمتها بنفسها.

في هذه الأثناء، كان زوجها حسين يحاول التصالح مع أسرتها، على أمل أن يسمحوا لها بالعودة إليه .خلال هذه الفترة، بدأت وجدان في نشر أعمالها الفنية على إنستغرام .أضافت صورة شخصية لها، لكن سرعان ما أخبرها الناس أن أسرتها علمت بأنها أظهرت وجهها على الإنترنت دون النقاب .رغم أن أسرتها بقيت داعمة لها، طلبوا منها حذف الصورة .استمرت في مشاركة أعمالها الفنية، مستخدمة النقاب في أي صور تحتوي على صورتها.

ثم أخذت دورة أخرى، تعلمت فيها الرسم على الخشب .بدأت أعمالها التي تصور الثقافة الأردنية والبدوية تجذب انتباه مدير مخيم سياحي محلي، دعاها لعرض فنها في حدث في مخيمه .هناك، لاحظ الناس من السفارة الهولندية موهبتها وعرضوا لاحقًا دعمًا ماليًا لمساعدتها على مواصلة رحلتها الفنية.

في يوم من الأيام، بينما كانت وجدان تجلس مع ورقة فارغة، فكرت في كيفية شكر الأشخاص من السفارة الهولندية الذين ساعدوها .أرادت أن تخلق شيئًا فريدًا، قطعة تعبر عن امتنانها .بينما كانت تفكر، سكبت قهوتها على الورقة .نظرت إلى البقعة لحظة، ثم جاءت الفكرة .لماذا لا ترسم بالقهوة؟

فتحت هذه الحادثة السعيدة لها وسيلة جديدة، مما منحها فرصة لإحضار جوهر ثقافتها إلى فنها.

التغلب على العقبات

في إحدى اللحظات، اتصل عم وجدان بخبر مثير :كان أشخاص من URI MENA بالقرب، وشجعها على إظهار أعمالها لهم . كانت هذه أول مرة تلتقي فيها بالمنظمة .ألهمها هذا اللقاء، وبدأت وجدان في مشاركة أعمالها الفنية بشكل أوسع على وسائل التواصل الاجتماعي، مستخدمة اسمها بكل فخر، وسرعان ما تلقت طلبات لأعمال فنية مخصصة.

بينما كانت الأمور تتطور، لم يتوقف حسين عن محاولاته لإعادتها إلى المنزل .بمساعدة رجال مؤثرين، زاروا أسرتها، ووعد أحدهم أن يضمن رفاهها تحت حمايته الشخصية مع حسين .بعد أربعة أشهر، وافقت أسرتها أخيرًا، وعادت وجدان إلى زوجها، الذي أصبح الآن أحد أكبر داعميها.

سرعان ما دعت URI MENA وجدان لحضور ورشة عمل عن فن الشارع في السلط، وهي مدينة تبعد ثلاث ساعات عن قريتها. كانت هذه الورشة فرصة محورية لتطوير مهاراتها والتواصل مع فنانين آخرين. وكان هذا يمثل تحديًا ليس فقط لوجدان، بل أيضًا لحسين. في الثقافة البدوية، من النادر أن تسافر النساء بمفردهن أو يحضرن فعاليات بعيدة عن المنزل، وكانت هذه ستكون المرة الأولى التي تسافر فيها مثل هذه المسافة بمفردها. كان الناس من حولهم يضغطون على حسين لعدم السماح لها بالذهاب. وجد نفسه في مفترق طرق: هل يحتفظ بها في المنزل، حارمًا إياها من هذه الفرصة المهمة، أم يذهب ضد آراء من حوله ويدعمها؟

في النهاية، اتخذ حسين قرارًا. رافق وجدان في رحلة الحافلة إلى السلط، وهناك، طلبت منه أن يسمح لها بالاستمرار بمفردها. حثّته على عدم الاستماع للأصوات من حوله وأن يمنحها هذه الفرصة للنمو. بعد فترة، سلمها المال لرحلة العودة، وتركها في السلط للمشاركة في الدورة التي تستمر ثلاثة أيام بمفردها. ثم عاد إلى المنزل وحده.

كان هذا القرار نقطة تحول لوجدان. تلك الأيام الثلاثة منحتها الثقة والتشجيع اللذين كانت بحاجة إليهما للمضي قدمًا، مما جعلها تشعر بأنها أقوى وأكثر فخرًا من أي وقت مضى. ومن تلك اللحظة، تعهدت ألا تسمح لأحد مرة أخرى بتقييد طموحاتها.

استمرت في المشاركة في جلسات التدريب التي كانت تنظمها URI في عمان. في البداية، كان حسين يرافقها، مقيما في فندق قريب بينما كانت تحضر الدورات. لكن تدريجيًا، بدأت ثقته تنمو، وسرعان ما أصبحت تسافر إلى عمان لحضور الدورات بمفردها. كانت خطوة رائعة إلى الأمام لهما معًا، وعرفت وجدان أن طريقها نحو تطوير الذات قد بدأ أخيرًا.

محاولة المستحيل

منذ عام تقريبًا، تزوج الأمير حسين بن عبد الله، وألهمت وجدان أن تخلق هدية زفاف فريدة :صورة للأمير رسمتها بالقهوة . حلمت بتقديمها له شخصيًا، لكن الشكوك تسللت إليها .هل كانت لوحتها جيدة بما فيه الكفاية؟ وكيف ستتمكن من لقائه شخصيًا؟

استعانت بعمها الذي كان دائمًا داعمًا لها، وأظهرت له الصورة وسألته إن كان يستطيع التعرف على من في الصورة .فقال : "بالطبع "!وأضاف" :إنه الأمير حسين بن عبد الله ."منحها رد فعله الثقة التي كانت بحاجة إليها؛ فلوحتها كانت بالفعل مناسبة كهدية زفاف للأمير .شجعها عمها على ألا تعطي الصورة لأحد آخر، محذرًا من أن شخصًا قد يقدمها على أنها عمله الخاص . بدلاً من ذلك، حثها على إيجاد طريقة لتسليمها شخصيًا للأمير.

أصر العديد من الناس على أن ترتيب لقاء كهذا سيكون مستحيلًا، لكن وجدان تمسكت بلوحتها، مصممة على إيجاد طريقة.

قررت أن تنشر اللوحة على وسائل التواصل الاجتماعي، واضعة عليها اسم الأمير .ثم، فجأة، تواصل معها شخص عبر الإنترنت، معبرًا عن إعجابه باللوحة وسأل إن كانت ترغب في الحصول على رقم هاتف مكتب الأمير .لم تصدق وجدان وقالت إنها ترغب بشدة في الحصول على هذا الرقم .أرسل لها الرجل رقم مدير مكتب الأمير.

خطوة أخرى نحو حلمها.

بمزيج من الأمل والتوتر، اتصلت بالرقم يوميًا لمدة أسبوعين، باستثناء يوم الجمعة، وهو يوم عطلة في الأردن، ولكن لم يجب أحد .مرة أخرى، بدا أن حلمها بلقاء الأمير كان مستحيلًا.

في النهاية، اقترح زوجها حسين أن تحاول الاتصال يوم الجمعة" .يوم الجمعة؟ "أجابت،" هذا مستحيل !إنه يوم عطلة"!

ومع ذلك، اتصل حسين بالرقم بنفسه .لدهشتهما، أجاب أحدهم.

كان الرجل على الطرف الآخر يبدو منزعجًا من اتصالها على رقمه الخاص، وأخبرها باقتضاب أن هذا ليس رقم مكتب الأمير، وسأل من أين حصلت على الرقم، ثم أغلق الخط.

ولكن رغم الإحباط، لم تيأس وجدان .قررت أن ترسل له رسالة عبر واتساب .شرحت له أنها كانت تحاول الاتصال به منذ أسبوعين وكانت ترغب في إهداء الأمير لوحة .وأشارت إلى أنها كانت محبطة للغاية لأن الاتصال انقطع فورًا عندما وصلوا أخيرًا.

بعد لحظات، اتصل الرجل بها مجددًا، ضاحكًا .تبين أنه كان بالفعل مدير مكتب الأمير، وأن هذا كان رقم هاتفه الشخصي الذي يستخدمه فقط في أيام الجمعة، وكان مندهشًا جدًا لتلقي مكالمة بشأن لوحة في يوم عطلة.

أثار إصرارها اهتمامه، فرتب لها موعدًا لتذهب إلى مكتب الأمير في عمان.

" إذا حاولوا ابعادك، لا تقبلي ذلك".

سافرت وجدان إلى عمان في اليوم المحدد، وهي مليئة بالأمل، لكن عند وصولها، أخبرها موظفو الاستقبال أنه لم يتم تحديد موعد لها .على الرغم من هذه العقبة، رفضت مغادرة المكان، وانتظرت من الساعة 8 صباحًا حتى 5 مساءً في منطقة الانتظار .في إحدى اللحظات، طرقت بابًا آخر، معتقدة أنها قد تكون في المكتب الخطأ .فتح لها مصور الأمير، وبعد أن سمع قصتها ورأى اللوحة، عرض عليها أن يسلمها للأمير بنفسه، لكنه أصر على أنها لن تتمكن من مقابلته شخصيًا .رفضت وجدان .بحلول الساعة 5 مساءً، أغلق المكتب، وطلبوا من وجدان المغادرة.

شعرت بالإحباط، وفكرت في العودة إلى معان واتصلت بزوجها حسين، الذي شجعها على المحاولة مجددًا في اليوم التالي، واقترح أن تبقى في فندق بعمان تلك الليلة .بعد أن قامت ببعض التسوق في وسط المدينة، عادت إلى الفندق، وهي تنظر بحزن إلى لوحتها .هل كان كل شيء عبثًا؟

فجأة، رن هاتفها .كان الرجل من مكتب الأمير .سألها عن مكانها، موضحًا أنه كان مشغولًا طوال اليوم، لكنه أخبرها أن تعود في الساعة 10 صباحًا في اليوم التالي .وقال لها" :إذا حاولوا ابعادك، لا تقبلي ذلك .اتصلي برقم هاتفي".

في اليوم التالي، وصلت وجدان إلى المكتب في تمام الساعة 10 صباحًا .مرة أخرى، أخبرها موظفو الاستقبال أنه لا يوجد لها موعد، ولكن هذه المرة اتصلت برقم المدير .جاء المدير بنفسه إلى الاستقبال وأخذها في سيارته إلى جزء داخلي من المبنى.

في مكتبه، دعاها للجلوس وعرض عليها مشروبًا .لاحظ أنها ما زالت تبدو حزينة قليلًا، فطمأنها أنها يمكن أن تبقى في المكتب طالما أرادت .لكن وجدان أجابت أنها لا ترغب في شيء سوى تسليم لوحتها للأمير .شرح لها المدير أن هذا لن يكون ممكنًا، لكنه عرض عليها أي شيء تريده تعويضًا عن اللوحة .فكرت وجدان للحظة، مذكّرةً أن زوجها قد فقد سيارته منذ بعض الوقت .فسألت إذا كان بإمكانها الحصول على سيارة لحسين.

في وقت لاحق من ذلك اليوم، قادت وجدان، بفخر وفرح، عائدة من عمان إلى قريتها في معان - خلف عجلة قيادة سيارة جديدة، هدية من الأمير نفسه .استغرقت منها شهرين لتحقيق هدف كان الجميع قد قالوا إنه مستحيل .عزيمتها، ومثابرتها، وربما لمسة من ما قد يسميه البعض عنادًا - ومعونة الله كما تقول وجدان - كانت قد منحتها احترامًا وإعجابًا من المجتمع بأسره.

الرؤى والنجاحات المستقبلية

بعد فترة، جاء أفراد من السفارة الهولندية الذين دعموا وجدان في بداية رحلتها الفنية إلى معان .كانت وجدان على وشك التحدث مع السفير لشكره، ولكن قال لها أحد رجال معان أن تبقى صامتة .مع ذلك، رفض السفير قبول ذلك وأصر على أن تتحدث وجدان .حتى أنه دعاها لزيارة مكتبه في عمان.

عندما جلست وجدان في مكتبه، سألها عن التحديات التي تواجهها النساء في منطقتها وما الذي يحتجن إليه .شرحت له أن العديد من النساء لم يُسمح لهن بالسفر، خاصة خارج الأردن .أخبرته أن هناك العديد من النساء الموهوبات في المنطقة، لكن الفرص لتطوير مهاراتهن قليلة .العديد من النساء لم يُسمح لهن بإنشاء حسابات على وسائل التواصل الاجتماعي لعرض فنهن أو مواهبهن الأخرى .حلم وجدان هو تأسيس أكاديمية للنساء في المنطقة - مكان يمكنهن من تطوير مهاراتهن ولديهن فرصة لبيع أعمالهن الفنية .وتصور منظمة مكرسة لدعم النساء.

مؤخرًا، نشرت URI MENA مقالًا عن وجدان .في البداية لم يرغب شقيقها في أن يظهر اسمها الكامل في المقال، لكن وجدان قررت المضي قدمًا ووضع اسمها عليه .انتهى الأمر بشقيقها ليشعر بالفخر والسعادة من أجلها.

أيضًا، أطلقت شركة أورانج الأردنية مؤخرًا حملة لتسليط الضوء على قصص نجاح أربع نساء أردنيات، وكانت وجدان واحدة منهن .ساعد عمها أيضًا في ترتيب زيارة لأميرة من دبي لرؤية أعمالها الفنية .بالإضافة إلى ذلك، دعى نفس المدرب التحفيزي من عمان، الذي ألهم وجدان كثيرًا في وقت يأسها، دعاها لحضور أحد دوراته.

خرجت وجدان من يأسها وحزنها أقوى من قبل .كان خلال هذه الفترة الصعبة، بينما كانت مفصولة عن زوجها، أنها وضعت الأسس لمهنتها الفنية.

عندما سألتها عن ما ساعدها في هذه الفترة التحديّة، قالت، قبل كل شيء، كان إيمانها الراسخ بالله.